المنظمة السرية
اسلام
الهاشمي الحامدي

***

روايه

المنظمة السرية

تأليف

اسلام
الهاشمي الحامدي

***

.في عالم مليء بالأسرار والخفايا، تتراقص الحقيقة أمام أعيننا كطيفٍ مراوغ، نراها أحيانًا ونغض الطرف عنها في أحيانٍ أخرى تزينها أستار الجاذبية والوهج، فتخدعنا وتلهينا عن جوهرها العميق. لكن خلف هذا الستار الزائف، يد الشيطان تعبث في كل .مكان وزمان، تزرع الفتنة وتثير الفوضى، بينما نواصل نحن رحلتنا في عالم مليء بالأوهام والأحلام الزائفة

قد نختار ألا نرى تلك اليد العابثة، ليس لأننا عاجزون عن رؤيتها، بل لأننا ربما نخشى الحقيقة التي قد تنكشف لنا. إن مواجهة الحقيقة تتطلب شجاعة لا يملكها الجميع، فالبحث عنها قد يقودنا إلى اكتشافات مرعبة تقلب عالمنا رأسًا على عقب. الحقيقة تحمل .في طياتها ثقلًا لا يمكن تحمله بسهولة، وهي سيف ذو حدين، يمكن أن يكون كشفها نذيرًا بنهاية هادئة أو بمأساة مفجعة

لكن، بالرغم من كل ذلك، فإن الرغبة البشرية في المعرفة تدفعنا دائمًا نحو الستار، نحاول رفعه بحذر وتردد، نتساءل عن مصيرنا وما يخفيه لنا القدر. إنك إن قررت الشروع في هذه الرحلة، فعليك أن تكون مستعدًا لما قد تواجهه، فالكشف عن الحقيقة ليس دائمًا السبيل إلى الحرية، بل قد يكون طريقًا نحو الظلام. تذكر أن الشجاعة ليست في مواجهة المجهول فحسب، بل في قبول .ما قد تكشفه تلك المواجهة

***

***

في شتاء عام 1999، في منطقة مصر الجديدة بالقاهرة، كانت لحظات الوداع تتحول إلى مشاهد تعبّر عن الموت والغموض. حسام كريم، الفنان المشهور بملامحه الساحرة وإبداعه الفني الرائع، كان يحاول التأمل في معنى الحياة خلف نوافذ منزله المغلقة، غير مدرك أن هذه النوافذ ستكون شاهدة على نهايته غير المتوقعة.

في ليلة باردة وهادئة، حيث يختبئ الناس في منازلهم من برودة الشتاء، سقط حسام كريم من شرفة منزله فوق سطح إحدى السيارات ولقي حتفه. كان موته بمثابة صدمة لعشاقه ومحبيه، وأثار العديد من التساؤلات حول سبب انتحاره المفاجئ.

فيما كانت الجماهير تتوافد إلى دور السينما لمشاهدة أحدث أفلامه، تعلو واجهة المسرح الكبير إعلاناته الضخمة، ويتجمع الناس بشغف أمام شباك التذاكر، يحاولون الحصول على تذاكر وسط زحام كبير، لكن دون جدوى بسبب نفاذها. يترقب الجميع بشغف بدء العرض القادم في الساعات الأولى من الصباح.

بينما الجماهير تهتف باسم حسام كريم كبطلهم المفضل، هناك أولئك الذين لا يزالون يحاولون التفكير والبحث في الغموض الذي يكتنف الحدث، وذلك في ظلمة شارع هادئ حيث وقعت الجريمة.

خرج المحقق نادر بكار من دار السينما، ومعه خطيبته الصحفية نهى عابدين. كان نادر شابًا أسمر طويلًا ونحيلًا، بينما كانت نهى سمراء بطول متوسط وشعرها أسود قصير. امتطيا سيارتهما وتوجها نحو منزلها. في لحظات من البهجة والضحك، تذكروا حسام كريم ومساهمته في إعلانات المياه الغازية التي تملأ الشوارع بصوره الجذابة.

"كان وقتا ممتعا" هكذا قالت نهي عابدين ، واردف نادر قائلا:

"حقا ، بطلنا المفضل جميع اعماله رائعه دائما "

***

في ذلك الصباح، استفاق المحقق نادر بكار على صدمة الأنباء الساحقة عن وفاة حسام كريم. كانت الشمس تتسلل ببطء إلى غرفته، تلمس ستائرها بخفة وكأنها تحاول إيقاظه بهدوء. شعاع الشمس الخافت ألقى ظلالاً طويلة على الأرضية الخشبية الباردة، وكأنها تذكير ببدء يوم جديد من عمله الشاق. فجأة، اخترق صوت والدته الصمت الهادئ: "استيقظ، مات حبيبك، انتحر، انتحر."

فتح نادر عينيه بصعوبة واتكأ على الفراش محاولاً إدراك الواقع: "ماذا هناك يا أمي؟ هل مات خالي؟"

شهقت والدته وهي تضع يدها على صدرها، وقالت بصوت مرتجف: "لا يا حبيبي، انتحر الفنان الكبير حسام كريم."

تسمرت عيناه في مكانهما للحظة، ثم قال بصوت متهدج: "القهوة، القهوة يا أمي، رجاءً."

أخرج سجائره وأشعل واحدة وهو يجلس على الفراش محاولاً تقبل الصدمة. دخان السيجارة تلاشى في الهواء ببطء، محاولاً أن يأخذ معه ثقل الأخبار. سمع صوت والدته وهي تذهب إلى المطبخ، تقول بنبرة قلقة: "سجائر على الريق؟ انتظر الإفطار."

لم يُعِرها انتباهاً، ثم رن هاتفه فجأة. أمسك به وتلقى التعليمات بصمت، وعيناه تلمعان بتصميم. أغلق الهاتف وعرف أن عليه متابعة تحقيقاته اليومية. ومع ذلك، كان هناك شعور غريب يلح عليه، كأنه تلميح لأمور أكبر تحتاج إلى اهتمامه الآن، أمور تفتح أبوابًا لعوالم مخفية وأسرار ترتدي أقنعة السرية.

جلس نادر على حافة السرير، يأخذ نفساً عميقاً وهو يستجمع أفكاره. كانت هناك قناعة تنمو بداخله أن هذه القضية لن تكون كغيرها، وأن وراء موت حسام كريم يكمن سر لم يُكشف بعد. سر ربما يقوده إلى منظمة سرية تتحكم في مصائر الناس من خلف الستار.

دق هاتفه مره اخري فأجاب ، أنها نهي عابدين من أمام كشك سجائر أمام منزله حيث ضجيج الشارع يدوي في السماعه ، قالت بصوت مخنوق عبر الهاتف: " هل سمعت بالخبر ؟"

فقال لها في ضجر : " نعم ، أخبرتني امي ."

"كان حسام كريم موهبة لا تتكرر،" قالت نهى بابتسامة حزينة وهي تتذكره. "أتذكر كيف كان الجميع يتحدثون عن أدائه في آخر فيلم له."

نادر، رغم ضحكاته، لم يستطع تجاهل الصوت الداخلي الذي يذكره بالواجب الملقى على عاتقه. "لكن هل تعتقدين حقًا أنه انتحر؟" سأل نادر بجدية، وعيناه تلمعان بتفكير عميق.

"أنت المحقق هنا، نادر. لكن بصراحة، أنا أيضًا لدي شكوكي. حسام لم يكن من النوع الذي يستسلم بهذه السهولة،" ردت نهى وهي تتأمل في مشهد الجماهير أسفل منزله الذي كان يغمر الشوارع.

"هناك شيء مريب في هذه القضية. كيف لرجل مثل حسام كريم أن ينهي حياته بهذه الطريقة؟ وما هي الأسرار التي قد يخفيها هذا الفنان اللامع؟" تساءل نادر بصوت منخفض، وكأنه يحدث نفسه أكثر مما يحدث نهى.

"ربما يجب علينا البحث أكثر في ماضيه. قد نجد شيئًا يساعدنا في فهم ما حدث،" اقترحت نهى وهي تنظر إلى نادر بعيون مليئة بالإصرار.

بقي هذا التساؤل يطارد نادر، وهو يدرك أن تحقيقاته المقبلة لن تكون مجرد عمل يومي، بل رحلة في أعماق عوالم مخفية، مليئة بالأسرار والخفايا التي قد تغير مسار حياته إلى الأبد.

"لنبدأ بالحديث مع أصدقائه المقربين، ومن كان آخر من رآه حيًا،" قال نادر بحزم.

"وسنحتاج أيضًا إلى مراجعة يومياته وأي ملاحظات تركها خلفه. ربما كان يحاول أن يخبرنا بشيء،" أضافت نهى :" اتفقنا ."

. "ومن يعرف شئ يخبر الآخر اتفقنا ؟ "هكذا قالها نادر .

انطلق الاثنان في رحلتهما المليئة بالغموض، وكل منهما يحمل في قلبه إصرارًا على كشف الحقيقة، مهما كان الثمن.

***

شارع الفنان الكبير حسام كريم

فيما تحاول الصحفية نهى عابدين، خطيبة نادر بكار، التعامل مع تداعيات الحادث، تعود أفكارها مرة أخرى إلى حسام كريم. كان ماضيه معقدًا ومتشابكًا بالأضواء الساطعة والظلال العميقة التي كانت تحتاج إلى إلقاء الضوء عليها. وهنا، في موقع الحادث، بدأت أسطورة حياة حسام كريم تكشف عن نفسها ببطء، متسللة إلى عقول الباحثين عن الحقيقة والعدالة.

وصل المحقق نادر بكار إلى موقع الحادث بسيارته، برفقة مساعده أشرف علي. أشرف كان أبيض الملامح، شعره أشقر مموج ومعدته كبيرة وممتلئة. لمحته نهى عابدين من بعيد، وهي تقف وسط الزحام ورجال الشرطة يمنعونها من المرور، بينما الجماهير تهتف باسم بطلها. كانت سيارة الإسعاف قد حملت جسد حسام كريم، معبود الجماهير، وسيارات الشرطة تملأ المكان.

داخل منزل حسام كريم، حيث كان رجال الشرطة ورجال البحث الجنائي يملؤون كل زاوية، كان المحقق نادر بكار وأشرف علي يرتديان القفازات ويتفقدان المكان بعناية. لفت انتباه نادر بكار مذكرات حسام كريم ملقاة في الحمام، وبدافع الفضول، التقطها ووضعها في معطفه.

وأثناء تفتيشهم، قال أشرف: "واضح أنه انتحار. بعد الشهرة والمال، ماذا ينقصه من الحياة؟"

رمقه نادر بكار بنظرة حادة، فأدرك أشرف خطأه واعتذر قائلاً: "آسف يا ريس، البقية في حياتك."

أومأ نادر برأسه وتوجه نحو شرفة المنزل، خلفه أشرف. نظروا من الأعلى فوجدوا الشارع قد امتلأ بالجماهير الباكية.

"إنها قضية رأي عام يا أشرف، علينا أن نكون على قدر الحدث"، قالها نادر بحزم.

فأجابه أشرف: "أنت الأستاذ، دعني أتعلم منك. كم قضية قمت بحلها حتى الآن؟"

فرد نادر بابتسامة خفيفة: "هذه أول قضية لي. سوف أعود إليك."

قال أشرف في قرارة نفسه: "تبا، هيروق علي حالة."

بينما كان نادر يقف على الشرفة، بدأت تتكشف أمامه تفاصيل غامضة. المذكرات التي وجدها قد تكون المفتاح لكشف الحقيقة. عاد إلى داخل المنزل، وبدأ يقرأ الصفحات الأولى، محاولاً تجميع القطع المتناثرة من لغز حياة وموت حسام كريم.

طرق باب الحمام عليه أشرف قائلاً: "لا تستخدم الحمام."

فتح نادر الباب قائلاً: "بالطبع لا، كل ركن من أركان المنزل تحت رفع البصمات. هل توجد قهوة في مطبخه؟"

رمقه أشرف بحدة، فشعر نادر بالإحراج وأردف قائلاً: "انتظرني هنا، أحتاج لشرب القهوة وتدخين سيجارة."

رفع أشرف يديه في حيرة من أمره، وواصل البحث مع رجال الشرطة والبحث الجنائي عملهم.

داخل المطبخ، جلس نادر مسترخياً قليلاً، يشعل سيجارة ويفكر في تفاصيل القضية. كانت المذكرات في جيبه تثقل عليه، وأخذ يتساءل عما يمكن أن تحتويه من أسرار. فتح الصفحة الأولى وبدأ يقرأ...

"اليوم، بدأت أشعر أن حياتي تحت ضوء الأضواء لم تعد كما كانت. الشهرة تجلب معها الكثير من الأعداء، وأكثر مما يمكن للمرء أن يتحمل..."

كانت هذه البداية فقط. تفاصيل حياته المزدوجة بدأت تظهر أمامه، وكان يشعر أن هذه المذكرات قد تكون المفتاح لفهم ما حدث حقاً لحسام كريم.

دخل عليه رجال البحث الجنائي، للقيام بعملهم، فشعر بعدم الارتياح، ونهض وترك لهم المكان وسط نظرات من التعجب والدهشة.

"هل يقرأ قصص بوليسية أم ماذا؟" قالها أحد الرجال بعد رحيله.

***

في تلك الأثناء، كانت نهى عابدين تجتمع مع بعض الشهود، وكانت تبحث بتمحور حاد عن أي تفاصيل تساعدها في حل لغز الحادث المأساوي الذي ألمَّ بحسام كريم، وهو الفنان الشهير الذي أثار حنين الكثيرين.

أولًا، التقت برجل كبير في السن، شكله الهادئ يعكس سنوات طويلة من الحكمة والتجارب. "كانت أفلامه هادفة، تحمل رسائل إنسانية"، قال الرجل بلهجة تشير إلى متابعة دقيقة لأعمال حسام كريم، وتأمل في الرسائل الاجتماعية التي كانت تنقلها أفلامه.

وفي جانب آخر، كانت هناك فتاة تقف برفقة زملائها بزي المدرسة، بدت متأثرة بشدة وكأنها تتذكر لحظات خاصة. "كانت أغانيه رومانسية، يا طنط"، قالت بصوت ممزوج بالشجن. تساءلت نهى في دهشة: "طنط؟"، حيث كان اسم الشهير حسام كريم يُستخدم بطريقة حميمية ومؤثرة بالنسبة لها.

ومن ثم، ألقت نظرة على شاب في حالة غضب، "كان راجل هلاس وبتاع نسوان"، قالها بحسرة. لم تتردد نهى في التفاعل: "وما الذي أتى بك؟"، فأجاب الشاب بصوت رقيق: "لرؤية جمهوره الناعم"، مما أظهر آرائهم المختلفة ومحبتهم للفنان الذي كان يترك بصمة قوية في قلوبهم.

استمرت نهى في سبر أغوار الشهود، لتجد صاحب محل الفاكهة يتحدث عن أيام الأخيرة بطريقة متذكراً "زيارات ليلية مع رجال يتشاجرون معه من حين لآخر"، مما يشير إلى توترات قد تكون كانت تؤثر على حياته الشخصية والمهنية.

ومن جهة أخرى، قال صاحب صالون الكوافير النسائي: "أصدقاء النساء لا حصر لهم، جميعهم هنا يرون قصص بطولاته في غرفة النوم". كانت هذه الرؤية تلقي نظرة مختلفة على الفنان حسام كريم، كشخص يعيش حياة مزدوجة قد تكون مصدرًا للكثير من الأسرار والمشاكل.

وفيما بعد، ألقى حارس العقار نظرة خاطفة وسريعة، "معرفش ماخبرش ماشوفتش حاجة، انا عندي عيال عايز أربيهم". كانت تلك الكلمات تعبر عن التفتت والانشغال الذي كان يعيشه الناس في الحي.

بهذه الطريقة، تواصلت نهى في استقاء الآراء والشهادات، محاولة تركيب كل جزء من هذا اللغز المعقد، لتستعيد قطع الأحجية وتكشف الحقيقة وراء مصرع حسام كريم، الذي كان يُعتبر نجمًا بارزًا في عالم الفن والإبداع.

لم تكن الأمور كما تبدو على السطح، وكان هناك شعور بأن شيئًا أكبر يُخفي وراء هذا الحادث، كانت هناك تفاصيل كثيرة تشير الي ضغوط و مطاردات و تهديدات ، بدأ يتساءل: هل كان هناك من يقف خلف هذا؟ هل يمكن أن تكون جه ما ، بتأثيرها الخفي، لها يد في الأمر؟

تحولت القضية من مجرد حادث وفاة إلى لغز معقد، مليء بالظلال والعلامات الخفية التي تنتظر من يكتشفها. وبينما كان نادر يتعمق في المذكرات، بدأ يدرك أن حياته على وشك التغير، وأن الحقيقة قد تكون أكثر غموضًا مما تخيله.

***

في الأسفل، وقف نادر أمام أحد منافذ البيع، أشعل قداحته وأخذ نفسًا عميقًا من سيجارته، وأخرج الدخان عاليًا ليتلاشى في الهواء. من خلف الدخان، ظهرت نهي عابدين، ترمقه بنظرة غضب. بادر بالقول وهو ينظر إلى منزل القتيل: "لا تغضبي، أنت تعلمين ظروف عملي."

حاولت كبح جماح غضبها وأردفت قائلة: "حسنًا، حدثني الصحفي يخبرني بأنها جريمة قتل من أجل السرقة، وأعتقد أن احداهن نفذتها بمساعدة خارجية من الخارجين عن القانون."

رسم ابتسامة خفيفة على وجهه، ثم أخذ نفسًا آخر من سيجارته وأخرجه قائلاً: "لا، حدثك خاطئ، إنه انتحار."

نظرت إليه نظرة ذات مغزى، وقالت: "دع الأيام تثبت صحة ما أقول، على أي حال، قمت بعمل تقرير صحفي من شهود عيان."

ألقى سيجارته على الأرض ودهسها، وأخرج آخر نفس من الدخان وأردف: "حسنًا، علي العودة إلى العمل."

فقالت بضجر: "هل أنتظرك؟"

أشار بيده لا من ظهره، ثم التفت لها قائلاً وهو يرجع إلى الخلف: "سوف نتحدث في الليل."

مر بجانب الجماهير الغفيرة التي تملأ المكان، وأشارت نهي عابدين إلى سيارة أجرة وركبتها ورحلت.

كان هناك سيارة سوداء تقف بعيدًا، تحمل لوحات خضراء، وداخلها رجلان يرتديان سترات سوداء ونظارات سوداء. كان كبيرهم في الخلف صاحب الشعر الطويل يتحدث من خلال الهاتف اللاسلكي ويدعي جابر فتحي.

***

مجموعه شاكر جروب

كانت شمس القاهرة تتسلل ببطء عبر الأفق، تلقي بأشعتها على مبنى شاكر جروب الضخم الذي يتوسط العاصمة. كان المبنى يعج بالحركة، موظفون يدخلون ويخرجون، ولكن كان هناك شيء غير عادي في الجو اليوم.

سيارة سوداء ذات دفع رباعي، تحمل لوحات خضراء، توقفت أسفل المبنى. ترجل منها رجال بملابس سوداء ووجوه جامدة، تجولوا حول السيارة بحذر. بدا واضحًا أنهم ليسوا مجرد موظفين عاديين ، خلع نظارته جابر فتحي و تلفت حوله وأشار إلي رجاله بالانتظار و هم مسرعا بالدخول بعد أن ألقي بسجارته أرضا.

في الطابق العلوي، كان مكتب شاكر علوان، رجل الأعمال المعروف بنفوذه الواسع وأنشطته المتنوعة. كان جالسًا على مكتبه الفاخر، يتحدث عبر الإنترنت مع رجل أجنبي يدعي جون اصلع الرأس . بدا عليه التوتر، ووجهه يعكس القلق.

كان مكتبه من النوع الفاخر ، حيث تماثيل و فازات غاليه الثمن ، و لوحه كبيره خلف مكتبه عليها صوره الاهرامات ، و في ركن المكتب هناك اريكه كبيره و في المنتصف طاوله اجتماعات كبيره و كان مكتبه كبير جدا و خلفه خزنه كبيره .

يتحدث شاكر وهو متوتر عبر الانترنت مع اجنبي ينهره الأجنبي و شاكر علوان ابو شنة و رنه يعجز أمامه ويقف بين يديه مثل الأطفال، أنهى شاكر المكالمة بغضب من الأجنبي الذي وبخه ومسح علب وجهه المتعرقة. شرب جرعة كبيرة من الماء، وأشعل سيجارًا فاخرًا، محاولًا تهدئة أعصابه.

- شاكر: "الخواجة لا يريد تصعيد الأمور. ، أنهِ الأمر بهدوء."

كان أمامه جابر فتحي، صاحب الوجه القاسي و العضلات المتفجرة. أومأ برأسه علامة على الفهم.

طرقت الباب برفق، ودخلت هند، السكرتيرة الشقراء، تحمل أوراقًا للتوقيع. كانت ترتدي ملابس ضيقة مكشوفة الصدر، وعيناها تراقبان جابر بتوتر.

- هند: "سيدي، هذه الأوراق تحتاج إلى توقيعك."

وقع شاكر الأوراق بسرعة دون أن ينظر إليها، ثم نظر إلى جابر وأومأ برأسه. وقف جابر وغادر المكتب، تلتقطه نظرات هند القلقة.

نزل جابر إلى الطابق السفلي، ركب السيارة وانطلق. كانت هناك سيارة 127 تقف بعيدا، بداخلها رجل بدين ذو شارب كبير يدعي ياسين وامرأة سمراء تدعي تهاني .

بدأت السيارة 127 في التحرك بهدوء خلف سيارة جابر و رجاله في حذر شديد .

***

داخل مكتب المحقق نادر بكار، كان الجو هادئًا يخيم على الأجواء. جلس نادر متكئًا على كرسيه، رافعًا قدميه براحة على زاوية المكتب. كان يحدق في الأعلى بتفكير عميق، ويده تلعب بالقداحة التي كانت مرفوعة أمامه. يدور في رأسه أسئلة لا حصر لها، هل كانت الوفاة انتحارًا أم جريمة قتل؟ ولماذا يقتل؟ فنان محبوب يملك الشهرة والمال، ماذا ينقصه؟

قطع حبل تفكيره جرس الهاتف الأرضي، فأجابه بشغف. طلبه مديره في مكتب النيابة، فأنزل قدميه من على المكتب، وتلقى الأوامر بطاعة، ثم أغلق الهاتف وخرج من مكتبه في عجلة من أمره.

يقف أمامه مديره شبه منحني، ويضع يديه أمامه في ولاء. هذا الرجل كبير السن، ذو شعر أبيض وبدين، ويملك تجاعيد في وجهه لا حصر لها، يدعى رؤوف الكاشف. يتصفح أوراق القضية ويقدم نظراته بشكل متردد، ثم يردف: "إذا أردت أن تتعلم مني، فأنصحك بإغلاق القضية في أسرع وقت. قضايا الرأي العام تصيبني بالصداع النصفي."

رفع نظره وأضاف: "ولكن! أشعر بأنها جريمة قتل ولا بد من محاسبة الجاني."

في رد فعل عنيف، ضرب يده على المكتب بشدة ووقف متأهبًا، ثم أمسك بنظره ناحيته قائلاً: "اسمع، يا بني، افهم جيداً، البلد كله يتحدث عن هذه القضية، أريد إنهاء الأمر بأسرع ما يمكن. هل تسمعني؟ في أسرع وقت ممكن."

انصرف المدير وجلس على مكتبه، أخرج دواءً وشرب من الماء، ثم أشار للمحقق نادر بكار بأن ينصرف. غادر نادر المكتب، لكنه لم يكن مقتنعًا، والشك بدأ يراوده أكثر من ذي قبل. هناك سر ما، هكذا حدث نفسه قائلاً.

وضع نادر يديه على معطفه وتحسّسه حتى وجد مذكرات حسام كريم. أخرجها ليطمئن قلبه، ثم أعادها مرة أخرى إلى جيب معطفه. نظر حوله بحذر، ثم أكمل طريقه إلى مكتبه في النيابة.

***

وصل إلى مكتبه، وجلس بجانب الطاولة الخشبية الضخمة، حيث وضع قدميه براحة على الأرض. أمسك بقلم حبر أسود وبدأ في تصفح ملفات القضايا المستعجلة التي كانت تنتظر معالجتها. تفحص كل ورقة بدقة، حاولاً استخلاص أدلة جديدة أو توجيهات تساعده في فهم الحقيقة وراء وفاة حسام كريم.

كانت مذكرات حسام كريم تثير فيه شعورًا بالفضول والاستغراب. كانت تلك الصفحات تعكس عقلية فنان معقدة، وربما تحمل مفاتيح مهمة لكشف الغموض حول حياته وموته.

***

***

سدل الليل عباءته السوداء على السماء الدنيا، حيث كان شاكر داخل مكتبه يُحادث شخصاً عبر الهاتف، وظهره مستند على مكتبه وينظر إلى صورة كبيرة للاهرامات. كان يقول بصوت مليء بالثقة: "نيلي فؤاد، كيف حال نجمتنا الكبيرة؟ تغيرت نبره صوته قائلا في حزر: "لم نجد أي مذكرات داخل منزله. ماذا؟ لا، لن تحصل رجال الشرطة عليها، فأنا لدي عيون في كل مكان. اهدئي قليلاً. حسنًا، سنبحث مرة أخرى. وداعًا."

أغلقت الهاتف دون أن تودعه، وهو بدوره تعجب ولم يعقب، ثم اتصل بـ جابر فتحي وأخبره بحزم: "يا جابر، ابحث جيدًا عن مذكراته. وداعًا."

بدأ شاكر يسب ويشتم يوم التقاءه بحسام كريم ونيلي فؤاد، وفجأة دخلت السكرتيرة هند مبتسمة. تبسم شاكر وهو متأثر بالسعادة، وقالت السكرتيرة: "شاكر بيه، عصبي، يحتاج إلى تدليك." انشكح شاكر وبدأت هند بتدليك كتفيه، حيث أصدر شاكر أصواتًا ممتزجة بالسعادة والانين.

***

***

داخل مكتب المحقق نادر، غلبه النعاس على الأريكة حيث كان ممسكًا بمذكرات حسام كريم. دخلت نهي عابدين بحماس، تبحث عنه، لكنها توقفت فجأة وأمعنت النظر في المذكرات التي أمسكتها. بدأت تقرأ بهدوء، وتغيرت ملامح وجهها تدريجياً. حاولت أن تجلس لكنها أصدرت صوتاً مفاجئاً، مما افزع المحقق نادر، فانتفض بسرعة وخطف المذكرات من يدها، ووضعها في جيبه . جلس مشبكاً يديه وهو ينظر بعيداً، مسح علي وجهه ثم بدأت قدميه تهتز في حالة من التوتر. ثم قالت نهي بابتسامة صفراء ساخره : "مذكرات حسام كريم، جيد، جيد جداً."

حاول نادر تهدئتها، قائلاً مظهراً الندم: "كنتِ ساخبرك في الوقت المناسب."

وضعت نهي عابدين أصابعها على خدها ورفعت حاجبها، قائلة: "ومتى سيحين الوقت المناسب ؟!"

أمسك نادر يدها بقوة وأجاب: "قريباً."

انهمرت دموعها، أمسكت بيده بارتعاش، وأغلقت الباب ببطء وهمست بصوت متقطع: "سأكشف لك الحقيقة، كل الحقيقة."

أشعل سيجارته بهدوء، ونفث دخانها ببطء، ثم تحدث بصوت عميق يحمل مزيجًا من الألم والتردد: "اسمي حسام كريم، شاب بسيط من حي فقير، أعمل في مقهى صغير. وهبني الله الصحة وراحة البال، وموهبة لا يمكن إنكارها في التمثيل والغناء. حاولت مرارًا وتكرارًا الوصول إلى حلمي، لكنني فشلت في كل مرة، حتى غمرتني اليأس وحاولت إنهاء حياتي. لكن، في لحظة حاسمة، أنقذتني هي، نيلي فؤاد، المطربة الشهيرة. احتضنتني كأم وساندتني، وطلبت مني وعدًا برد الجميل في الوقت المناسب، فوافقت دون تردد.

في البداية، كانت تطلب مني التبرع بمبالغ كبيرة للجمعيات الخيرية، ولم أكن أرى مشكلة في ذلك. ثم بدأت تطلب مني أداء أغانٍ غريبة، بلا معنى، وموسيقى اكتشفت فيما بعد أنها نوع من المخدرات الرقمية، موسيقى تحمل رسائل خفية وسرية. أما المشاهد التي صورتها في أفلامي، فكانت تتضمن تفاصيل دقيقة: ملابس معينة، موسيقى معينة، كل شيء محسوب بدقة. لم أكن أعترض، لكنني لم أكن أدرك أنني كنت أتحرك نحو هاوية.

ثم جاء الطلب الذي لم أتوقعه، طلب جعلني أشعر بالخجل من مجرد التفكير فيه، طلب قلب حياتي رأسًا على عقب، وكان ذلك بداية الطريق إلى المجهول."

طرق باب المكتب ودخل مساعده اشرف علي ، الذي صافح نهي عابدين و طلب نادر منه الانصراف : " حسنا يا اشرف بيه يمكنك الانصراف . "

" خطيبك يا انسه نهي يحب الشغل جدا "

تبسمت واردف قائله : " نعم اعلم ، أكثر مني "

تعالت ضحكات نادر مشتت انتباههم و ضرب اشرف علي كتفه مازحاً : " كفي مزاح ، هلا انصرفت الان ."

،اصرف اشرف باسما وانصرف نادر و نهي عابدين من المكتب و أخبرها نادر بأنه سوف ياكل معها المثلجات و يقص عليها بباقي القصة.

***

****

في وسط البلد، وسط زحام المحال التجارية وكثافة المرور، كان المحقق نادر يقود سيارته ومعه نهي عابدين. الشوارع كانت مكتظة بالمارة المتجاهلين لموت الفنان الشهير الذي قُتل في ظروف غامضة، ما أدى إلى إلغاء حفلة رأس السنة التي كان سيشارك فيها.

نظرت نهي عابدين من نافذة السيارة، مشيرة إلى الزحام قائلة: "غريب أمر الناس، الناس نساية."

رد نادر محاولاً مواساتها: "حال الدنيا."

انعطف نادر باتجاه أحد محلات المثلجات وتوقف، ما أثار ابتسامة على وجه تهاني. قال مبتسماً: "أعلم، تحبين المثلجات في فصل الشتاء."

أومأت نهي برأسها بخجل، فأشار نادر للعامل وطلب: "واحد فرولة مع منجا، والآخر بسكويت شوكولاته."

ابتسمت نهي قائلة: "رائع، لم تنسَ ما أحب."

رد نادر بحنان: "كيف ينسى العاشق معشوقه."

احمرت وجنتا نهي خجلاً، لكن نادر لاحظ سيارة سوداء ذات ألواح خضراء تتبعهما. سألته تهاني بقلق: "هل هناك من يتبعنا؟"

أجاب نادر بجدية: "أعتقد ذلك."

بعد تناول المثلجات، تحرك نادر بسيارته بينما استمرت السيارة السوداء في متابعته. زاد من سرعته متجهاً نحو طريق المقطم، ومع تزايد الخوف في قلب نهي، حاولت تهدئته. توقف نادر فجأة على حافة جبل المقطم، محدثاً دخاناً كثيفاً. توقفت السيارة السوداء خلفه وأضاءت أنوارها العالية.

أمسكت نهي بيد نادر بقلق، فتفحص سلاحه وخرج من السيارة بحذر. نزل جابر ومعه رجلان، وتقدم نحو نادر قائلاً: "اعذرنا على طريقتنا، ولكنك مشغول طوال الوقت، ونحن نريد منك شيئاً يخصنا."

عقد نادر حاجبيه متعجباً وقال: "وما الذي تريده؟"

ابتسم جابر ابتسامة صفراء وأجاب: "المذكرات، مذكرات حسام كريم."

حبس نادر أنفاسه قائلاً: "لا أعلم عمّ تتحدث."

قام أحدهما بركله بركبته أسفل بطنه فصرخ نادر قائلا : " تبا الم تجد مكان آخر ."

أشار جابر إلى رجاله، فأخرجوا المذكرات من جيب نادر وألقوها باتجاه جابر الذي تلقاها وقبلها، ثم ودّع نادر. حاول نادر المقاومة لكن الرجلين طرحاه أرضاً وسط صرخات نهي عابدين.

انطلق جابر ورجاله مسرعين، تاركين وراءهم عفاراً كثيفاً. نزلت نهي بسرعة لتطمئن على نادر الذي قال: "لا تخافي، أنا بخير. الآن تأكدت بأنها ليست انتحاراً بل جريمة قتل."

***

***

في أحد المقاهي في وسط البلد، جلس المحقق نادر نهي في زاوية بعيدة عن الأنظار. سألت تهاني بقلق: "ماذا علينا أن نفعل؟"

تنهد نادر بسخرية، مظهراً حيرته، وقال: "لا أعلم. طلب مني مديري غلق القضية على أنها انتحار، ومهما حاولت لم يقتنع."

نظرت نهي حولها بحذر وهمست: "بماذا تحتوي هذه المذكرات؟"

اقترب نادر منها بعد أن أشعل سيجارته وقال بصوت منخفض: "المذكرات تكشف تورطه مع منظمة سرية عالمية، وذلك من خلال المطربة نيلي فؤاد. وفقاً لما ذكره، تلك المنظمات كانت تستقطب مشاهير مصر والعالم العربي في فترة الستينات، إلى أن ألغاها جمال عبد الناصر. لكنها عادت مرة أخرى تحت غطاء جمعيات خيرية ونوادي اجتماعية."

استمر نادر في الشرح: "لديهم العديد من الأسماء مثل أسماء حيوانات مفترسة ونوادي تحمل شعارات خاصة بالملاحة وغيرها. هدفهم استقطاب المشاهير ورجال الأعمال. المشاهير يضيفون لهم شهرة، ورجال الأعمال يقدمون تبرعات تُسهل لهم أعمالهم ليزدادوا ثراء. هدفهم بث الفجور والرزيلة والقضاء على الأديان، وإرسال رسائل مشفرة عبر أعمالهم الفنية."

صمت نادر لبرهة، ثم أضاف: "هذه المذكرات تُعد دليلاً قاطعاً على أن القضية ليست انتحاراً بل جريمة قتل مرتبطة بتلك المنظمات. لكن الآن، نحن في خطر، ويجب علينا أن نتحرك بحذر."

توترت نهي قائلة: "أشعر بالخطر، علينا التوقف عن ملاحقة هؤلاء."

ضحك نادر بسخرية: "لقد أصبح الأمر الآن ثأرًا شخصيًا."

سألته بقلق: "ماذا ستفعل الآن؟"

أجاب: "في مذكراته، ذكر أن هناك اجتماعًا أسبوعيًا يعقد اليوم في أحد الفنادق. عليّ حضور هذا الاجتماع."

أمسكت نهي بيده وقالت: "كفى، اذهب إلى المنزل بعد توصيلي."

غادرا المقهى، ولم يكونا على علم بأن ياسين كان يتابعهما من داخل سيارته. وصل نادر وتهاني إلى منزلها، وحين خرجت نهي عابدين ودخلت المنزل، رحل نادر بسيارته. لاحظت نهي أن ياسين يتبعه، فأصبحت تشك في الأمر.

عادت نهي بسرعة وأخذت سيارة أجرة لتتبعهما. كان نادر يقود سيارته نحو الفندق حيث يعقد الاجتماع، بينما كانت نهي تراقب عن كثب من سيارة الأجرة، محاولة معرفة ما سيحدث وما إذا كان نادر سيكون في أمان.

في الوقت نفسه، كان ياسين يحاول الحفاظ على مسافة آمنة، غير مدرك أن نهي عابدين تتبعه أيضًا. كانت الأمور تتجه نحو مواجهة غير متوقعة، حيث كان كل طرف يترقب الخطوة التالية للآخر، متحفظًا على تحركاته ومحاولة كشف الحقيقة المخفية وراء مذكرات حسام كريم.

***

داخل فندق شهير في الزمالك، على ضفاف نهر النيل، كانت الموسيقى الهادئة تملأ الأجواء. نسمات الهواء الرقيقة الممزوجة بالأسرار تداعب صفحات المياه وتعكس ضوء القمر.

كان عدد الضيوف كبيراً، ومن بينهم دبلوماسيون أجانب يحضرون الاجتماع، بالإضافة إلى مندوبي النوادي الشهيرة ذات شعار الكائن المفترس والنادي الآخر الذي يحمل شعار الملاحة. كانت النخبة من الفنانين والمشاهير ورجال الأعمال حاضرة وبقوة.

في هذه الأجواء المليئة بالترف والسرية، كان نادر يتنقل بين الضيوف، محاولاً الاندماج والتقاط المعلومات. كان يعلم أن الخطر يحيط به من كل جانب، وأن أي خطوة خاطئة قد تكلفه حياته.

في نفس الوقت، كانت نهي عابدين تراقب من بعيد، تتابع تحركات نادر بقلق. كانت تعلم أنه قد لا يخرج سالماً من هذا الاجتماع إذا اكتُشف أمره. بينما كانت تراقب، لاحظت وصول ياسين الذي بدا وكأنه يعرف تماماً ما يحدث في الداخل. كانت الأمور تتجه نحو ذروة غير متوقعة، حيث الأسرار تُكشف والخطر يقترب.

في إحدى الحفلات الفاخرة التي نظمها رجل الأعمال الشهير شاكر علوان، كانت المطربة المشهورة نيلي فؤاد تجلس على طاولته الخاصة، محاطة بنخبة من الفنانين والدبلوماسيين. صعد شاكر إلى المسرح الصغير وقدّم نيلي فؤاد، التي أمسكت بمكبر الصوت وقالت: "مرحباً بالجميع، في نهاية العام نراجع نجاحاتنا وإخفاقاتنا. نحن نسعى لنشر السلام والمحبة حول العالم، ونسعد الملايين بدون مقابل من أجل مستقبل أفضل للجميع."

صفق الحضور جميعًا. بينما كانت نيلي تتحدث، تقدم جابر فتحي نحو شاكر علوان وهمس في أذنه قائلاً: "المحقق نادر بكار من ضمن الحضور." ابتسم شاكر بشكل مصطنع وقال: "تخلصوا منه بهدوء، دون لفت الانتباه." أومأ جابر برأسه وتحرك نحو نادر الذي نظر إليه بحذر، ثم تحرك من أمام نيلي التي نظرت إليه مليًا بتحدٍ، ونظر لها في عينها بثبات.

أنهت نيلي فؤاد حديثها وسط تصفيق الحضور وصعد شخص آخر إلى المسرح للحديث. جلست نيلي بجانب شاكر علوان واقتربت منه وقال لها: "هذا هو قدرنا الأسود، المحقق نادر بكار، الذي حدثتك عنه." شعرت بالضجر وقامت بإجراء مكالمة هاتفية بغضب للتخلص منه.

في هذه الأثناء، كان نادر على وشك القفز في النيل، لكن جابر فتحي ورجاله أمسكوا به. قال جابر بسخرية: "أعتقد أن الماء بارد في هذا التوقيت." ابتسم نادر له، لكن فجأة تدخل ياسين وأمسك بجابر وألقاه في الماء، ثم أمسك بأحد رجاله ودفعه بقوة نحو الآخر فاصطدما، وألقى بطاولة فوقهما.

أمسك ياسين بنادر وخرجوا مسرعين، حيث وجدوا نهي عابدين تلحق بهم. قال ياسين: "تابعوني بسرعة." ركب كل منهم سيارته وانطلقوا مسرعين، تاركين حي الزمالك الهادئ وراءهم.

***

في أحد المقاهي بحي حدائق القبة، جلس ياسين برفقة تهاني، بينما كان نادر بكار يجلس مع نهي عابدين. ساد الصمت قليلاً بينهما، ثم أخذ نادر يتحدث قائلاً: "مَنْ أنتم؟"

نظر ياسين إلى تهاني، وابتسم ليجيب قائلاً: "نحن عيون مصر التي لا تنام."

فردت نعي عابدين بحماس: "رائع! قوموا بالقبض عليهم فورا ."

تدخلت تهاني بسخرية، قائلة: "وما التهمة؟ الشواء علي النيل بلا إذن من الأسماك؟"

نظر نادر بتوجس وقال: "دعونا من الأحاديث الجانبية، ماذا تريدون منّي؟"

رد ياسين بجدية: "أنا ياسين التهامي، وهذه زميلتي تهاني الجبالي."

أقحمهم نادر قائلاً: "بالتأكيد، أسماء حركية. استمروا."

بينما كان ياسين يحاول التحدث، رفع نادر يده ليسكته، فأشار له بحركة بأن يستكمل. "نحن نعلم كل شيء منذ البداية."

فسأله نادر: "حسناً، ماذا تريدون؟"

تبسم ياسين بضيق وقال: "ألم أقل لك لا تقاطعني؟"

"لا لم تخبرني "

تبسم واردف قائلا: " حسنا ، لاتقاطعني أثناء حديثي . "

ألقى نظرة له نادر مع ابتسامه صفراء و أشار بحركة ليستكمل حديثه. "نريد استعادة المذكرات من خزانة شاكر علوان."

"هل أنت متأكد بأنها هناك؟ ربما تكون في شقة نيلي فؤاد."

شعر نادر بالحرج ونظر الي نهي و ابطي من سرعه حديثة ،نظر ياسين إليه بنظرة ذات دلالة، وأشار له نادر أن يواصل: "ستقوم أنت وتهاني بزيارة مكتب شاكر علوان، حيث ستقوم تهاني بجذبه، وستقوم أنت بسرقة خزانته لتحصلوا على المذكرات."

رفع نادر يده ليأخذ الاذن بالحديث ، فأشار له ياسين بالتحدث وهو يمسح على وجهه فقال : " وماذا لو كان شاكر علوان لا يحتفظ بها في حزانته .؟"

فاردف قائلاً : " جيد سؤال جديد ، إذا سوف نبحث في مكان آخر ."

"منزل شاكر منزل نيلي أو حتي مكتبه "

هزت نهي رأسها قائله : " رائع ، يبدوا بأن لديكي خطط بديلة ."

فقال نادر بعد أن فكر مليا : " وبعد أن نحضرها ، هل ستقوم الشرطة بالقبض عليهم ؟"

فقال يايسن: " دعنا نحضرها اولا وننظر ماذا سيحدث ، الان انت أصبحت مصدر تهديد لهم ، كن حذر في الأيام المقبلة ."

***

صباحًا، داخل مكتب رئيس النيابة العامة، المستشار رؤف الكاشف كان ينغمس في أفكار معقدة، وجهه ملامح منغمسة في التفكير بينما كان يرتب أصابعه بتناغم على سطح المكتب. كانت الشمس تتسلل بخجل من خلال النوافذ الضخمة، ترسم أشعتها الذهبية على الأرضية الرخامية، مما يضفي لمسة من السكينة على الغرفة المعتمة.

نظر رؤف الكاشف إلى الورقة أمامه، حيث كانت تُحضّر التقارير والملفات التي ترتبط بقضايا حساسة لا تتسع للخطأ. مر الكثير من السنوات منذ أن خطى خطاه الأولى في هذا المجال، مواجهًا تحديات تجعله ينمو ليصبح لاعبًا رئيسيًا في مجال العدالة. لكنه كان يعلم جيدًا أن هناك جوانب من العمل الذي لا يُكتب في التقارير، ولا يُطبق بالحروف البارزة للقانون.

فجأة، توقف ونظر إلى نادر بكار، مساعده المخلص، الذي كان يقف هناك بصمت ينتظر الإرشادات. تبادل النظرات معه لحظة، كان كل منهما يفهم الآخر بلا حاجة للكلمات. كانت هناك أسرار يعرفها كلاهما، ولكن هذه المرة، كانت هناك شيئًا مختلفًا في عيون نادر، شيء يُرعبه قليلاً.

"ماذا هناك؟"، سأل المحقق نادر بكار بصوت يملأه التساؤلات و الحيرة.

بقي رؤف الكاشف صامتًا للحظة، ثم أجاب بثقة متناغمة مع الظروف: "هناك أناس فوق مستوى الشبهات. لا يحق لنا ملاحقتهم، حتى لا نقع تحت طائلة القانون."

استقر الصمت في الغرفة لبضع ثوانٍ، كانت تلك الكلمات كافية للتعبير عن تعقيدات الوضع. "ماذا فعلت؟"، سأل رؤف الكاشف وهو يحافظ على هدوئه.

تردد نادر واردف قائلا : " أن نيلي فؤاد و شاكر علوان ، يخفيان شيئاً ما سيدي ."

تبسم رؤف الكاشف ورفع يده ليسكت واردف قائلا : " القضية ، هل انهيت القضية ؟!

نظرات رؤف الكاشف تكشف بأنه علي دراية بما يحدث وعلي علم بنيلي كريم و شاكر علوان ، و يبدوا بأنه لا يريد أقام نفسه في مثل هذه الظروف .

بدا نادر مترددًا لحظة، ثم أجاب بتأكيد: "قفلت القضية، انتحار بالطبع."

"هذه إجازة مرضية لك حتى ترتاح أعصابك من التفكير ها."، أضاف رؤف الكاشف وهو يمد يده لنادر بكار بورقة الإجازة.وعيناه تملاهما تفاصيل كثيرة يريد أن يخبره بأن يبتعد عن تلك القضية خوفا على حياته من غدر أناس ليسوا من البشر الطبيعيين .

رد نادر بتعجب ملحوظ: "لا أحتاج إلى إجازة مرضية."

ابتسم رؤف الكاشف ببساطة وقال بلطف: "مرضية أفضل من شيء آخر. تفضل، وآمل أن تستريح قليلاً. أعتقد أن رسالتي وصلت."

تبسم نادر برد الفعل وأجاب بثقة: "وصلت الرسالة." بالطبع وصلت الرساله الان نادر ، أيقن بما يحدث ، رؤف الكاشف يرفع يده بخبره السنين ، الان أما كشف الحقيقة في اسرع وقت ام الفصل التعسفي بكل تأكيد .

بعدما استأذن وانصرف، نظر رؤف الكاشف حوله بتأمل ارف نادر قائلا: . "جيد، بأنها إجازة مرضية أفضل من قرار فصل تعسفي." اتصل بإشرافه وقال بصوت هادئ: "أشرف، أشعر بالتعب. أخذت إجازة مرضية، المكتب في عهدتك يا بطل."

تبادل الاثنان الوداع، وبينما انصرف أشرف إلى سيارته، بدا وكأن الهدوء يسود المكان مع كل تلك الأسرار التي تعلقت بالقرارات والتوجيهات التي لا تعلن علانية.

****

داخل أحد المحال المهجورة في حي مدينة نصر، جلس أربعة أشخاص في زاوية مظلمة، تعلوهم لمبة كبيرة مضاءة بشكل مهتز، تلقي بظلال غامضة على الوجوه. كانت الطاولة في وسط الغرفة مزدانة بصور حسام كريم، نيلي فؤاد، وشاكر علوان على سبورة كبيرة. بجانبها كانت هناك مجموعة من أدوات النقاشة التي تملأ الغرفة برائحتها النفاذة. كانت أنغام أم كلثوم الملحمية تتسلل إلى المكان بصوت خافت، محاولة تشتيت مسمع من هم في الخارج لضمان سرية الاجتماع.

"تهاني الجبالي كانت جميلة للغاية الليلة," قال نهي بابتسامة جذبت الدهشة من نادر. لاحظ ياسين ذلك وتبسم، قائلاً بتسلية، "هل يجذب شاكر علوان بجمال تهاني الجبالي؟"

تبسم نادر بشغف وقال، "بالطبع، يجذب الباشا."

لكن نهي نغزت نادر في جانبه فتألم، تبسمت تهاني بدلال. قال ياسين، "اعذروها فهي الآن تهيئه لمقابلة شاكر علوان وأنت معها بالطبع."

أشار نادر بإصبعه على نفسه، فهز ياسين رأسه بالموافقة، ورسمت نهي عابدين على وجهها علامات الغيرة.

قال نادر، "سوف أصبح..." وأشار بأصابعه بجانب رأسه.

قال ياسين بصوت عالٍ، "لا، سوف تتنكر في البداية أنت وهي، وتذهبون إلى هناك، تدعون بأنكم صحفيون من قناة الجزيرة وتريدون كتابة سطر جديد من سطور نجاحات شاكر علوان. تتفقد تهاني وعلوان الشركة وأنت تظل في مكتبه مدعيًا المرض."

أنهى ياسين حديثه مبتسمًا، رافعًا يديه بالقرب من وجهه منتظرًا دهشتهم.

أردفت نهي عابدين قائلة في همس، "ويقتلكم وقت أن يكتشف حقيقتكم أنت والسنيورة."

"ماذا؟" قالتها تهاني الجبالي بضجر.

أردف نادر قائلاً، "حسنًا، للوهلة الأولى يبدو منطقيًا."

"تحدث، لماذا صمت؟" قالها ياسين، فأردف نادر، "لا أريد المقاطعة."

تبسم ياسين وقال له، "قاطعني فأنت البطل."

قال نادر، "حسنًا، هل انتهينا؟"

قال ياسين، "سأكون في الأسفل ومعك مسجل صوت وكاميرا. أنت وتهاني لا تقلقا، يا بطل."

"بطل بلا عمل،" قالها نادر. فصمت ياسين وكف عن الضحك قائلاً بحزم، "سوف تعود إلى عملك وقت أن تثبت جدارتك بعد أن تقبض عليهم."

فقال نادر، "أعتقد بأن علينا أن نقطع رأس الأفعى."

تنهد ياسين وقال، "اسمعني جيدًا، نحن نعلم عنهم الكثير. هم يتحكمون في الاقتصاد العالمي والصحافة والإعلام ورجال السياسة والدين والمشاهير."

فقالت نهي عابدين، "يبدو بأننا وضعنا يدنا داخل خلية نحل."

فقالت تهاني الجبالي، "نحن نقطع أيديهم فقط إذا عبثوا داخل البلاد."

رمقتها بحدة نهي عابدين قائلة، "لا أريد أن أسمع منكِ شيئًا."

"حقًا، هذا أفضل،" قالتها تهاني الجبالي.

حاول ياسين التهامي تهدئة الموقف قائلاً، "لا، لا، إذا أردنا أن نتعاون علينا أن نكون فريقًا واحدًا يحب كل منا الآخر."

فقال نادر، "وأنا أحببتكم جدًا."

فضربته نهي عابدين قائلة، "أريد الرحيل حالًا."

فقال نادر، "انتظري قليلًا، أكمل حديثك عنهم، رجاءً."

فقال ياسين، "بالنسبة لوطننا العربي، خططهم تفكيك الدول إلى دويلات صغيرة، نشر الفتن والإرهاب، لسرقة التراث والثروات الطبيعية. هم الشر الكامن."

فقال نادر، "نسيت أن أخبركم بشيء هام في مذكرات حسام كريم."

"ولماذا صمت كل هذا؟" قالتها تهاني، فأجاب، "لأنني كنت أحبه."

فقالت نهي في تعجب، "كنت؟"

فقال، "نعم، كنت. كان يقوم بعمليات اغتيال داخل مصر وخارجها وله علاقات جنسية مع زوجات ملوك ورؤساء. وقت أن انقلب عليهم لأنهم أرادوا منه أن يصبح جاسوسًا ويقيم علاقة جنسية مع رجل مثله ولكن ! ثري عربي."

"حسنًا،" قالها ياسين، ثم أكمل، "دعنا نحصل على المذكرات في البداية ونقوم بفحصها جيدًا."

***

مطار القاهرة الدولي كان يعج بالحركة نهارًا، حيث كانت السماء ملبدة بالغيوم، ودفعات الهواء القوية تحمل رائحة المطر *** من حين لآخر. وصل رجل أصلع الرأس، ينتظره جابر فتحي ورجاله بترقب. قال جابر، وهو منحني الرأس باحترام: "مرحبا، مستر جون". ربت جون على كتف جابر بخفة وركب في المقعد الخلفي للسيارة الفاخرة، فيما ركب فتحي ورجاله السيارة الأخرى وتبعوه.

أمام فندق شهير يطل على نيل القاهرة في وسط البلد، نزل جون من السيارة بخطوات واثقة ودخل الفندق الفخم، وخلفه جابر فتحي ورجاله يحملون الحقائب بعناية. كان الفندق يعج بالنزلاء والسياح، والهدوء يسود المكان برغم الحركة المستمرة.

في مكان غير بعيد، كان ياسين التهامي يراقب المشهد عن كثب، يخفي نفسه بمهارة خلف نظارته السوداء ويداعب شاربه بتفكير عميق. لم يكن هذا اللقاء عاديًا، وكان التوتر يسود الجو بوضوح. التهامي كان يعرف أن ما سيحدث في الساعات القادمة سيغير الكثير من الأمور.

دوي البرق والرعد أرجاء السماء وانفجرت السماء بماء منهمر. تحرك ياسين التهامي بسيارته مسرعًا، وأشار إلى زميل آخر بمواصلة المراقبة. كان هذا الزميل يدعى صقر، يقف على الجانب الآخر داخل سيارة فيات حمراء، يتابع بحذر وتوتر ما يحدث في الداخل. كان الجو يشير إلى أن الليلة لن تكون هادئة على الإطلاق، وأن الأحداث المقبلة ستكتب بمداد مختلف.

***

ليلة غائمة، أمطارها تهطل بغزارة، والماء يتدفق في الشوارع كأنهار جارفة. الزحام خانق وأبواق السيارات تصدح بلا توقف، تعبيرًا عن ضجر السائقين. ضوضاء المدينة تتردد في الأجواء، تعكس حالة المارة المستعجلين والقلقين، والمحلات التجارية تغلق أبوابها تحت وطأة المطر العنيف، بينما يهرع الناس باحثين عن ملاذ دافئ في منازلهم.

في زاوية شارع مظلم، وتحت ظل مبنى شركة شاكر علوان، توقفت سيارة مرسيدس سوداء فارهة. كان ياسين التهامي يجلس خلف المقود، بجواره نهى عابدين بنظرة حذرة تراقب الطريق. في المقعد الخلفي، نزل نادر بكار برفقة تهاني الجبالي، كلاهما متنكران ببراعة لا يمكن كشفها بسهولة.

فتح لهم ياسين التهامي باب السيارة برشاقة، ثم رفع مظلة كبيرة لتحميهم من السيل الهادر من الأمطار. نادر وتهاني تحركا بخطوات سريعة وثابتة نحو المدخل، فيما تلتف المظلة حولهم كدرع يحميهم من برد الشتاء القاسي.

كانت الليلة تحمل في طياتها شيئًا من الغموض والإثارة. المدينة بأسرها بدت وكأنها مسرح كبير، والجميع ينتظر بفارغ الصبر ما ستكشفه الأحداث القادمة. كان هناك شعور مشترك بين الجميع بأن شيئًا كبيرًا على وشك الحدوث، وأن هذه الليلة لن تمر كسابقاتها، بل ستظل محفورة في الذاكرة بأحداثها الغامضة.

***

داخل مكتب علوان، استقبلت هند السكرتيرة نادر وتهاني الجبالي بحرارة، قائلة: "مرحبًا بأهل الصحافة والإعلام! أكاد أجزم بأن شهرة شاكر علوان وصلت للعالمية."

تبسم لها نادر وابتسمت تهاني الجبالي، التي كانت تبرق في توهج ودلال. قال نادر: "أشكرك باسم رجال الإعلام، هل يمكننا الدخول لإنجاز عملنا؟"

ابتسمت هند وقالت: "لحظات، رجاءً." دخلت وهي تغمرها السعادة إلى مكتب شاكر علوان، بينما تبادل نادر وتهاني النظرات في ترقب. كان قلب نادر يخفق بشدة، مثل طالب ثانوي مقبل على الامتحان النهائي دون معرفة المادة التي سيختبر فيها.

عادت إليهم وطلبت منهم الدخول، وأردفت: "لا تنسوا اسمي في التقرير."

ابتسم لها نادر قائلاً: "بالطبع، اسمك سيكون بالبند العريض بعد تتر النهاية."

Ladiesردت هند بسعادة وهي تصفق: "رائع!" دخل نادر بعد أن أشار إلى تهاني الجبالي بالدخول أولاً قائلاً بالإنجليزية: " first."

أغلق الباب في وجه هند، التي كانت تسترق البصر وهي مبتسمة، وبادلها نادر ابتسامة زائفة وهو يغلق الباب.

كانت تلك اللحظات تتسم بالغموض والترقب، حيث كان الجميع يدركون أن ما يحدث وراء تلك الأبواب المغلقة سيترك أثراً لا يُمحى، وأن الليلة قد تحمل في طياتها أحداثًا ستغير مسار الجميع.

***

في الأسفل، كان ياسين التهامي ونهى عابدين يجلسان داخل السيارة تحت وابل من الأمطار الغزيرة. على الجانب الآخر من الشارع، كان صقر، مساعد ياسين، يجلس في سيارة أخرى يراقب الوضع.

داخل السيارة، كان ياسين ونهى يستمعان إلى الراديو الذي ينقل صوت نادر ومن معه، وكانت هناك شاشة صغيرة تنقل ما يحدث من خلال كاميرا مخفية في قلم نادر. قال ياسين بحماس: "هيا يا نادر، نريد اعترافات مثيرة وواضحة."

ابتسمت نهى عابدين وقالت: "أتشوق إلى كتابة تقرير صحفي يتداول في جميع أنحاء البلاد."

نظر إليها ياسين التهامي قائلاً: "هذا يعتمد على مهارة خطيبك المحقق نادر بكار."

نظرت إليه نهى نظرة مليئة بالتساؤلات وقالت: "وماذا عن دور تهاني الجبالي؟"

تبسم لها ياسين قائلاً: "دورها هو الإلهاء فقط."

كانت الأجواء داخل السيارة مشحونة بالتوتر والتوقعات، حيث يدرك الجميع أن ما يحدث داخل مكتب شاكر علوان قد يكون نقطة تحول هامة في مهمتهم. مع كل كلمة تُنقل عبر الراديو، كانت نبضات قلوبهم تتسارع، والعينان تراقبان الشاشة الصغيرة بتركيز، مستعدين لأي تطور قد يحدث.

***

داخل مكتب شاكر علوان، كان يقف أمام نافذة كبيرة تطل على الشارع، ويجلس على مكتبه نادر بكار وتهاني الجبالي. بين الحين والآخر، كان يرمقهم شاكر بابتسامة عريضة. فتح زجاجة خمر، وصب كأسًا، وأضاف الثلج، ثم ارتشف منه بينما يتأمل الشارع والزحام الشديد. قال شاكر علوان: "غريب أمر البشر، يتضررون من أمطار غزيرة وإذا سألتهم قالوا نحن أهل للإثارة."

أجابه نادر: "نعم، فالأمطار تهطل بغزارة الليلة."

قال شاكر وهو يعود إلى مكتبه: "ربما لو رأى المارة جمال زميلتك لما عادوا إلى منازلهم."

تبسمت تهاني الجبالي بدلال وقالت بالإنجليزية: "شكراً على المجاملة."

سألها شاكر علوان: "هل أقوم بإعداد كأس لك؟"

أجابته: "لا أشرب وقت العمل."

نظر لها نادر بدهشة، وأكمل شاكر علوان قائلاً: "حسنًا، ماذا تريدون بالتحديد؟"

قالت تهاني: "نريد سبقًا صحفيًا لأفضل رجل أعمال في مصر والشرق الأوسط."

تعالت ضحكات شاكر علوان وقال: "نعم، لو تعلمون حجم الصعاب التي خضتها للوصول إلى هذه المكانة."

قال نادر بشغف: "حقًا؟ وما هي؟ أخبرنا."

تبسم شاكر علوان قائلاً: "فيما بعد، لماذا العجلة؟"

اقترحت تهاني الجبالي: "هل تقوم بجولة معي في المكان؟"

لمعت عيني شاكر وقال بحماس: "ولم لا، هيا بنا."

قام شاكر وأمسك بيدها وهم بالخروج، ثم توقف ونظر إلى نادر قائلاً: "لماذا لا تأتي معنا، يا أستاذ؟"

أجاب نادر: "سأقوم بكتابة تقرير مبدئي من هنا، وأشرب من زجاجتك تلك إذا سمحت لي."

قالت تهاني الجبالي: "دعه ودعنا نذهب وحدنا."

تعالت ضحكات شاكر علوان قائلاً: "وهذا أفضل لي، هيا بنا."

خرجا من المكتب، تاركين نادر بكار الذي تصارعت ضربات قلبه، فقام وبدأ بفتح خزنة شاكر علوان بمجموعة من المفاتيح التي أعطاه إياها ياسين التهامي، مع أرقام الخزنة التي علمه كيفية فتحها بعد تدريبات شاقة وطويلة. فتحت الخزنة، ووجد نادر بكار المذكرات وأخذها. فتح باب مكتب شاكر علوان ونظر إلى الباب وهو يفتح، وقلبه يكاد ينفجر من شدة الخفقان.

دخل جابر فتحي حاملاً حقيبته خلف جاك، ففزع نادر بكار عند رؤيته. وضع جابر الحقيبة بجانب جاك، وأمعن النظر في وجه نادر الذي كان يتصبب عرقًا. كانت نظرات جاك ثابتة على نادر، فانحنى جابر وهمس في أذن جاك، فرفع جاك حاجبيه في تعجب، ثم نظر مرة أخرى إلى الخزنة وأشار إلى جابر بالانصراف. انحنى جابر برأسه في ولاء وانصرف، مبتسمًا لنادر.

فقد نادر النطق وعيناه تتابعان جاك بحذر. تحرك جاك نحو الخزنة وأغلقها، ثم وقف أمام مكتب شاكر علوان وخلع قفازاته ومعطفه الثقيل، وذهب إلى النافذة وأعد كأسًا لنفسه وشرب منه وهو ينظر إلى الخارج. قال لنادر: "هل تتحدث الإنجليزية؟"

أجاب نادر بصوت محشور: "نعم."

كرر جاك سؤاله بصوت أعلى: "نعم سيدي، أتحدث الإنجليزية."

قال له جاك: "حسنًا، سوف أقص عليك قصة قصيرة: كان هناك فأر صغير رأى أسد الغابة يقتل قردًا مهرجًا، فذهب إلى الحمار وأخبره بما حدث. قرر الحمار الثأر لمقتل القرد، فقتل الحمار، وظل الفأر ناجيًا."

ابتلع نادر ريقه ومسح عرقه عن وجهه وقال: "لماذا تروي لي هذه القصة؟"

في الأسفل، قال ياسين لنهى: "هل يقصدني أنا بالحمار؟"

همهمت نهى ط في تعجب " لا اعلم ."

قال جاك لنادر: "رجاءً، هل تتصل برقم ثلاث ستات؟" قام نادر ونفذ ما أمر به وقال: "حسنًا، ماذا تريد أن أخبرهم؟"

أجاب جاك: "لا تقل شيئًا يا نادر بيه، سوف يقومون بالواجب."

فتح نادر الخط وفجأة أغلقت الأنوار، أنوار الشركة والشارع والحي بأكمله.

في الأسفل، انطلق وابل من الرصاص على سيارة ياسين التهامي ونهى عابدين، وفر المارة في هرع شديد، وتحول الشارع إلى ساحة معركة مع تصاعد الدخان الكثيف من أثر الرصاص الذي أطلقته سيارة كبيرة. توقفت الأمطار وعم الصمت المكان،و امزحت الدماء المتساقطه من السيارة بماء المطر وظل الشارع فارغًا من المارة. كان صقر على الجانب الآخر يشاهد وهو فاقد للنطق، غير مصدق لما حدث.

داخل المكتب ، نزل صوت الرصاص كالصاعقة علي أذني نادر ، وقف جاك ببرود بعد أن أغلق نادر الخط ، بعد أن راي خيال جاك من خلال ضوء القمر الخافت ، ثم نظر إليه نظرة جامدة وقال: "لقد انتهى الأمر، نادر بيه. لا شيء يمر دون حساب." كانت هذه الكلمات تثقل كاهل نادر، وهو يدرك أن اللعبة التي يلعبها قد تأخذ منحى خطيرًا جدًا.

***

داخل مخزن للماشية، كانت الأجواء ملبدة بالظلام الكثيف الذي تخترقه رائحة البراز المنبعثة من الزاوية البعيدة، وتُحاط بهجيج أصوات البهائم المتعلقة في أقفاصها كالرموز الصامتة للسجناء. نادر وتهاني الجبالي يقفان هناك، كأنهما أنقاض من عالم آخر، يتدلى كل منهما بحزن لا يوصف، أجسادهما تملأها آثار الضربات القاسية والعلامات العميقة للألم.

أمامهم، تقف مجموعة من رجال النظام بقيادة جابر فتحي، ينظرون إليهم بسخرية مبتسمة تتعالى فوق صدى أنين البهائم.
صوت جابر فتحي يتدحرج كالرعد في الهواء الملبد بالظلام: "أيها الغبي، هل ظننت أنك ستنجح في خداعنا؟ لقد كشفت هويتك المقنعة."

تعبير تهاني الجبالي يندحرج من شفتيها المتورمتين، كل كلمة تخرج منها كالشهقات المكبوتة لنفس مكسورة: "ما تقومون به سيكلفكم غاليًا، نحن لسنا وحدنا."

السخرية تملأ الهواء بينما تتلاطم الكلمات اللذيذة بالاستهزاء: "أين كان دعمكم؟ لماذا التأخير؟ ربما كان الزحام عذرًا وحيدًا."

في هذه اللحظة القاتمة، دخل شاكر علوان بخطوات واثقة، موجهًا نظرة صارمة نحو نادر وتهاني، صوته يرتفع بقوة: "لماذا؟ لماذا فعلتما هذا؟ جميلةٌ مثلكِ، لا ينبغي لها أن تجد نهايتها هنا، بين هذا الجحيم."

نظر نادر بعيون تعبر عن خيبة الأمل، حاول جابر فتحي تحطيمه بشكل وحشي، صوته يرتد بالسخرية المفرطة: "أليس لديك دموعًا لتبكي بها؟ أنظروا إليه وهو يبكي."

الضحكات الشيطانية تتلاطم في المكان، فرحين بمشهد الخضوع قبل النهاية المؤكدة.

***

فقال نادر: انزلني يا كلب وسوف احطم راسك

تعالت ضحكات جابر فتحي هو ورجاله و قال :" حقا تريد الثأر لنهي عابدين "

فقال شاكر علوان في حزم : " لا تنزله دعنا ننهي الأمر في هدوء ."

فنظر له جابر في حده قائلا : " رجاءا سيدي دعنا نمرح قليلا قبل قتلهم ."

فك رجال جابر وثاق نادر بعد أن أشار لهم و خلع معطفه وأشار إلي نادر بالتقدم ، يحاول نادر النهوض وهو يتألم من أثر الضربات الموجعة ، يحاول الانقضاض علي جابر فتحي وفي كل مره يتفاداه و يطرحه أرضا بقبضة يده وهو يضحك .

ويقول شاكر علوان : " رجاءا توقف ."

يقوم نادر و يمسك بعصا كبيره فيفتح جابر فتحي زراعيه فينطلق نادر و يوحي له بأنه سيضربه علي رائسه و يحول الضربة للاسفل فيسقط جابر ويجلس فوقه نادر و يبرحه ضربا فيتهشم وجه جابر فتحي و تهرع رجاله الي نادر و يمسكون به ، وفي حركه هواءيه يطير نادر للخلف ويسقط أحدهم أرضا بقدمه و يضرب الآخر أسفل الحزام فيسقط أرضا متوجعا

يرفع شاكر علوان السلاح في وجه نادر ويقول : "توقف والا قتلتك ."

فيقول نادر وهو يلهث ويحاول التقاط أنفاسه :" تريد أن تقتلني كما قتلت حسام كريم و ياسين التهامي و نهي عابدين ؟و كم شخص قتلته ؟أخبرني ."

توقف توقف قالها شاكر علوان ، فضرب نادر من الخلف وسقط أرضا بيد جابر فتحي الفولاذية وقال جابر وهو ينزف دما من وجهة :" انا من قتل حسام كريم و ياسين التهامي و نهي عابدين ، وكثيرين ايها الاحمق ."

فقالت تهاني الجبالي :"رائع اعتراف جديد ."

دخلت رجال الشرطة ومعها صقر وقاموا بالقبض علي جابر فتحي و رجاله وفر شاكر علوان هاربا وسط وابل من الرصاص ، نظر نادر الي صقر الذي قام بفك وثاق تهاني الجبالي وانزلها أرضا ، قال نادر في ضجر : "هل كنت تنتظر اعترافهم وتركتنا كل هذا ."

نظر صقر أرضا خجلا وقالت تهاني الجبالي: "هون عليك كان ينتظر اعترافه حتي لا يضيع جهدنا هدرا."

نظر إليه نادر بكار وهو يبكي و القي بالعصا التي كان يمسكها وخرج وحده من هذا المكان .

***

تم القبض على قاتل مأجور يدعى جابر فتحي ومجموعته بتهمة قتل الفنان الشهير حسام كريم، حيث كانوا يعملون تحت إمرة رجل أعمال يدعى "ش" "ع". كان "ش" "ع" يخطط لإنتاج فيلم ضخم، وقد أعطى حسام كريم أجرًا زهيدًا، مما دفع الفنان لمحاولة فضحه. قام رجل الأعمال بتكليف جابر فتحي بقتله.

وقع تصادم كبير بين سيارة الصحفية نهي عابدين ومقطورة، مما أسفر عن وفاتها. كما لقي الضابط ياسين التهامي حتفه بعد أدائه مناسك العمرة والحج.

في مقبرة نهي عابدين، وسط حضور الناس، كان المحقق نادر بكار يقف يستمع إلى آيات من القرآن الكريم بعد الدفن. تقدم إليه رجل وقال: "أحدهم يريد مواساتك في الخارج". خرج نادر ووجد سيارة فارهة، وعندما انكشف الزجاج، كانت المطربة الشهيرة نيلي فؤاد تقول: "إذا لم تنته، سوف نلاحقك، البلقاء لله، وداعًا."

كان نادر بكار محطم القلوب، عاجزًا عن الرد، دفعه السائق بعيدًا عن السيارة وركب ورحلت عنه نيلي فؤاد وهي تنظر إليه بتحدي، بينما ظل نادر يقف دون حراك، عيناه تبكيان على فراق نهي عابدين.

في النهاية، عاد المحقق نادر بكار إلى عمله ورحب بعودة مساعده إشراف ومديرة رؤف الكاشف، قائلاً له: "أحسنت يا بطل، كشفت حقيقة القاتل وكل هذا بفضل دعمي وتشجيعي لك، أليس كذلك؟!"

مرت الأيام، ونادر بكار كان حزينًا، لا يفتح بابه للحديث ويقوم بعمله. في الليالي، كان يذهب إلى نادٍ ليلي حيث يشرب الخمر، ثم يعود إلى منزله ويخلد إلى النوم، ثم يعود لعمله في الصباح.

***

في ليلة رأس السنة، حيث امتزجت أصوات الاحتفالات بالنبأ الصادم عن وفاة لاعب كرة القدم المشهور، توجه نادر وأشرف إلى مكان الجريمة، متجاهلين تحديات اللحظة. وجدوا نيلي فؤاد وجاك في سيارة متوقفة بعيدًا، مازحين الظروف بضحكة عالية قبل أن يندفعوا بسرعة ويختفوا في الليل المظلم.

"لماذا توقفت؟"، سأل أشرف بدهشة.

"لا، لا شيء، دعنا نكمل عملنا"، أجاب نادر بقسوة في صوته، وهمس بشيء من الغموض يختبئ في عينيه.

وبينما تتلاشى صدى الضحكات ويتلاشى صداها في الليل، بقي اللغز الذي تركها نيلي فؤاد يترنح في عقولهما، يعدّان أنفسهما بالكشف عن الحقيقة وراء كل هذه الأحداث المربكة.

وهكذا، تنتهي هذه الليلة ببداية مشوقة لفصل جديد في ملحمة نادر وأشرف، حيث يجدان أنفسهما متورطين في لغز أعقد وأخطر مما كانوا يتصورون. فدائما يتم وضع لنا العراقيل لتشتيتنا عن ما هو أهم ومايدور خلف الستار و علينا أن نجد وقتا تلتقط في الأنفاس لإعادة التفكير في كل شئ ، من من مصلحته الفقار العالم واغراق الدول في الديون ونشر الفتن و الحروب و التحكم في مصير الشعوب و التحكم في الاقتصاد العالمي و الاعلام و بيع السلاح و تدمير العقول .

تمت

***